# فوائد مرحلة الاستتار

**اسم الكتاب:** فوائد مرحلة الاستتار
**المؤلف:** السيد عبدالرحيم الموسوي
**الموضوع:** كلام
**الناشر:** مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)
**الطبعة:** الاولى
**التاريخ:** ١٤٢٥ هـ
**المطبعة:** ليلى
**الكمية:** ٣٠٠٠
ISBN: 964-8686- -
حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي
www.ahl-ul-bayt.org

**كلمة المجمع العالمي لأهل البيت**(عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ان يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات ـ التي أثيرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاقدة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنيت وغيرها ـ متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أُعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

**المجمع العالمي لأهل البيت**(عليهم السلام)

**المعاونية الثقافية ـ قم المقدسة**

# فوائد مرحلة الاستتار

**المقدّمة**

لاشك في أنّ الإمامة مهمة إلهية كما هي النبوّة، وتتمتع بنفس شروطها باستثناء الوحي الذي هو شرط في النبيّ دون الإمام، ودور الإمام(عليه السلام) في عقيدتنا من حيث الهداية والترشيد والتربية للناس كدور النبيّ(صلى الله عليه وآله) .

ولذا يشكّل خط العصمة ـ المتمثّل في النبوّة والإمامة ـ الحجة البالغة لله على الناس كافة، والحجة لله لاتنقطع عن الأرض وستستمر حتى آخر الزمان، فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»(١).

وقال أيضاً: «**لا يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر أميراً من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها**»(٢).

وقال الإمام علي(عليه السلام): «**..اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة**»(٣).

ولما كانت الحجة لله على الناس قائمة في خط العصمة الذي لا انقطاع له فهذا يعني أنّ الدعوة للهداية مستمرة في خط العصمة وهذه الدعوة هي تعبير عن الانتفاع بالهداية من خلال وجود المعصوم.

والمهدي المنتظر هو الإمام الثاني عشر والحجة الغائب عن الأبصار من أهل بيت الرسول الأطهار.

وسوف يتركز بحثنا هذا حول مسألة الفائدة من وجود الإمام حال الاستتار عرضاً ومناقشة، وسيتم ذلك من خلال ستة أمور.

الأمر الأوّل: استمرار الهداية مع بقاء خط العصمة.

الأمر الثاني: الإشكالات في فائدة الإمام حالة الغيبة.

الأمر الثالث: الروايات تتحدث عن فائدة الإمام حال الغيبة.

الأمر الرابع: مهام الإمام(عليه السلام) عليّ خلال احتجاجه.

الأمر الخامس: الغيبة مرحلة لتمحيص الأمة واعدادها.

الأمر السادس: مقارنة بين فوائد الإمام حال الظهور وأثناء الغيبة

---

(١) ذخائر العقبى: ١٧، وكنز العمال: ١١٦/٦، ومجمع الزوائد: ١٧٤/٩ .

(٢) منتخب الأثر: ٢٧ .

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ٢٦٣/١٠، الرقم ٢٩٣٩١ .

## الأمر الأوّل: استمرار الهداية مع بقاء خط العصمة

أرسل الله الرسل لغرض هداية الناس، والأخذ بهم الى حيث الكمال والسعادة في ظل منهج التوحيد، وقد بيّن الرّسل الكرام طبيعة السبل التي تكفل للبشرية رقيها، وقد تكرست جهود الأنبياء في الرسالة الخاتمة، التي تضمنت واحتوت كل أبعاد منهج التوحيد وتفاصيله، ولهذا فإنّ نبيّ الرحمة لم يمضِ الى الله سبحانه، حتى أنجز كامل ما خطته يد الله ورحمته من منهج يكفل الهداية للناس كافة، وقد زوّدت الرسالة الإسلامية الخاتمة بعناصر إلهية، القرآن والعترة اللذين شكلا السرّ في بقائها وخلودها، وأرادها المولى سبحانه في أن تكون هي المحور الأساس في هداية البشرية على الدوام، من هنا تمتع الكتاب المعجز بصفة الاستمرارية والقدرة على العطاء فيما لو استنطق بالأدوات المشروعة المثبتة في محلّها، وفي قوله تعالى وهو يصف القرآن: (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) دليل على احتوائه لكل ما تحتاجه البشرية على طول حياتها كما تمتع بصفة البقاء (**إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**) .

ثم لم يمضِ نبيّ الإسلام الى ربّه حتى بيّن محل العترة من الرسالة، قائلاً(صلى الله عليه وآله): «**لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**» فلا تتم الهداية بأحدهما دون الآخر والتلازم بينهما له صفة البقاء والاستمرارية أيضاً، وهذا يعني أن البشرية تحتاج إليهما ولا تستغني عنهما .

وتعجز البدائل الأخرى في أن تؤدي دور الهداية للناس بعد إلغاء الإمامة، لأن الإمامة عنصر قد أعدته يد الغيب، حيث أودع الله فيه من الكمالات والطاقات ما تعجز البشرية عن إيجاده .

فلما كانت النبوة مرتبة وعنصراً يرجع إيجاده وإعداده الى الله سبحانه، وانّه مختص به لا بالناس، فكذا الإمامة لتمتعها بنفس الأهداف والضرورات، لذا ينبغي أن تتصف بنفس الشروط التي هي في النبيّ كالعصمة والعلم بالغيب وغيرهما، باستثناء الوحي وهذه أُمور لا يمنحها إلاّ الله سبحانه[٤].

---

(٤) جاء في الشافي جمعاً بين المتن والهامش:

أما من جعل للإمام جميع صفات النبي(صلى الله عليه وآله). ولم يجعل بينهما مزيّة في حال فالكلام معه ـ وإن لم يسقط جملة من حيث لم يعلم بطلان قوله ضرورةً ـ فإنّه لا يكون كلاماً في الإمامة، بل في النبوّة، وهل هي واجبة في كلّ حال أم لا؟ فإنّ من جعل للإمام بعض صفات النبيّ أو أكثرها، وجعل بينهما مزيّةً معقولةً فالكلام معه لا محالة كلام في الإمامة، كيف لا يكون كلاماً في الإمامة وهو لا يعدو أن يكون كلاماً في صفاته، أو في صفة ما يتولاّه ويقوم به، لأنّ من قال من الإمامية: إنّ الإمام لا يكون إلاّ معصوماً، فاضلاً، أعلم الناس إنّما خالف خصومه في صفات الإمام، وكذلك إذا قال: إنّه حجّة في الدين، وحافظ للشّرع، ولطف في فعل الواجبات والامتناع من المقبّحات. فخلافه إنّما هو فيما يتولاه الإمام ويُحتاج فيه إليه.

وقد بيّن المولى سبحانه مقام الإمامة وسموها وعدم رقي الإنسان الى كمالها، فهي كما قال الإمام الرضا(عليه السلام) وهو يصف الإمامة: «**أبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم**»(٥).

وقد بين المولى سبحانه مقام الإمامة وسموها حينما جعلها للنبيّ إبراهيم مرتبة بعد الخلّة، التي هي مرتبة بعد النبوة، ثم جعله إماماً بعد أن جعله نبياً وخليلاً، فالإمامة إذاً مرتبة ممنوحة منه سبحانه قد جاءت بعد النبوّة فقال: (**إنّي جاعِلك للناس إماماً**).

وتلقّى النبيّ إبراهيم تلك المرتبة بوعي وشوق إنطلاقاً من إدراكه لسموّ مرتبتها فدفعته محبّته في أن يطلب من الله سبحانه أن تمتد الى ذريته، فقال: (**ومن ذريّتي**) فأجابه الله سبحانه، قائلاً: (**لا ينال عهدي الظالمين**) وبهذا تبيّن أنها هبة منه لصاحبها ولطف منه للناس، فلم يترك أمرها للناس ليحصلوا عليها بجهدهم، فالعهد الإلهي لا يحل بظالم ولابد أن يكون الإمام معصوماً ليتقوى على تولّي العهد الإلهي فربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة.

فوضعت الآية السابقة حداً فاصلاً على مدى الحياة على أنّ الإمامة والخلافة الإلهية لا تكون في ظالم، وأضاف سبحانه في آية أُخرى بيان كيفية امتداد هبته للذرية من إبراهيم الذين هم موضع الاختيار الإلهي، فقال: (**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**)(٦).

وبيّن الإمام الرضا(عليه السلام) معنى هذه الآية، قائلاً: «**فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله تعالى النبيّ**(صلى الله عليه وآله) **فقال: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**)(٧) **فكانت له** (صلى الله عليه وآله) **خاصة فقلّدها**(صلى الله عليه وآله) **علياً بأمر من الله سبحانه**»(٨).

---

الدليل العقلي على وجوب عصمة الإمام أنّ الخطأ من البشر ممكن ولا يمكن رفع الخطأ الممكن إلاّ بالرجوع الى المجرد من الخطأ وهو المعصوم ولا يمكن افتراض عدم عصمته لأدائه الى التسلسل أو الدور، أما التسلسل فإنّ الامام إذا لم يكن معصوماً احتاج الى إمام آخر، لأنّ العلّة المحوجة الى نصبه هي جواز الخطأ على الرعيّة، فلو جاز عليه الخطأ لاحتاج الى إمام آخر فإن كان معصوماً وإلاّ لزم التسلسل، وأما الدور فلحاجة الإمام إذا لم يكن معصوماً للرعيّة لتردّه الى الصواب مع حاجة الرعية الى الاقتداء به «الألفين للعلاّمة الحلي: ص٤».

أمّا الدليل النقلي فقوله تعالى لإبراهيم(عليه السلام): (إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين) البقرة ١٢٤ فدلّت هذه الآية على أمرين: أنّ نصب الإمام من قبل الله تعالى، والثاني عصمة الإمام. لأن المذنب ظالم ولو لنفسه.

(٥) الكافي: ١٩٨/١.

(٦) الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣ .

(٧) آل عمران: ٦٨ .

(٨) الكافي للكليني: ١٩٩/١، باب نادر جامع في فضل عيون أخبار الرضا: ١٩٦/٢، الإمام وصفاته.

إذاً فبحكم وجود القرآن وخلوده واستمرارية خط العصمة ودوامه سيكون العطاء لهما مستمراً.

وببيان آخر خاطب المولى نبيّه الكريم(صلى الله عليه وآله) بقوله: ( **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاَءِ شَهِيداً**) [٩]. والآية نزلت في أمة الإسلام خاصة وليس المقصود منها الأمم الأخرى، وبها يتأكد استمرارية الأمة وبقاؤها ووجود عنصر الهداية معها، وهذا يعني أنّ لكل زمان إمام يمثل حجة الله على العباد. وقد عبر الإمام الصادق(عليه السلام) عن هذا المعنى خير تعبير، إذ قال(عليه السلام): «**في كل قرن إمام منا شاهد عليهم ومحمّد شاهد علينا**»[١٠].

وأخيراً حديث الثقلين أو الثَّقَلين المتواتر بين الإمامية وغيرهم، وقد قاله النبيّ(صلى الله عليه وآله) في مواطن متعددة في حجة الوداع، وفي حجرته المباركة وهو(صلى الله عليه وآله)على فراش الموت، رغم وجود بعض الاختلاف في الألفاظ الذي يدل على اختلاف المواطن، قال(صلى الله عليه وآله) :

«**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، أحدهما أكبر من الآخر، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[١١] .

ويؤكد الحديث عدم افتراق القرآن عن العترة الطاهرة حتى يوم القيامة ودور الثقلين هو الهداية وهذا يعني أنّ العطاء للعترة مستمر.

والإمام المهدي هو أحد أفراد هذه السلسلة فيكون عطاءه (عليه السلام)هو الهداية أثناء غيبته الكبرى وهنا تكمن الفائدة. وهذا المعنى قد أكدته الآية الشريفة، (**ولكل قوم هاد**) وحين سئل الإمام أبوجعفرالباقر عن معناها فقال: «**كل إمام هاد للقرن الذي هو فيهم**» واسترسل الإمام وهو في صدد بيان استمرارية الحجة الإلهية وضرورة وجودها في كل عصر وزمان. إذ بيّن أنّ مهمة النبوّة هي الإنذار لتلحقها مهمة الإمامة التي تعني الهداية، قائلاً:« (**إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد) رسول الله المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم الى ما جاء به نبي الله ثم الهداة من بعده عليّ ثم الأولياء واحد بعد واحد**». وفي رواية: «**والله ما ذهبت منّا ومازالت فينا الى الساعة**»[١٢].

وأخيراً، بما أنّ خط الهداية مستمر عن طريق استمرار خط العصمة، فيمكن القول بأن المهدي الذي هو الامتداد لخط العصمة، ويتمركز عطاؤه في الهداية للناس، ولولاه لم تهتدي نحو الطريق الذي يريده الله سبحانه فلا فرق إذاً في أداء دوره حين يكون ظاهراً أو حين يكون مستتراً مازال له عطاء في كليهما.

---

(٩) النساء: ٤١ .

(١٠) خاتمة المستدرك للميرزا النوري: ٢٤١/٥ .

(١١) المستدرك: ١٠٩/٣، المعجم الكبير للطبراني: ١٦٦/٥ ح٤٩٦٩، تاريخ بغداد: ٤٤٢/٨، حلية الأولياء: ٣٥٥/١ .

(١٢) الكافي: ١٩٢/١ .

## الأمر الثّاني: الإشكالات في فائدة الإمام حال الغيبة

أشكل البعض من الباحثين على مسألة فائدة وضرورة المعصوم حين يكون غائباً، إنطلاقاً من إيمانهم بعدم جدوى الغيبة التي تعني عدم الفائدة للناس، وذلك لانحصار الفائدة في حضور الإمام وظهوره للناس، لا بغيبته وعدم رؤيته ومعرفة مكانه وأحواله.

وإليك بيان تلك المدّعيات:

١ ـ يذهب (رونلدسن) الى عدم وجود الإمام إنطلاقاً من عدم قدرته لرفع مشاكل شيعته، إذ لو كان موجوداً لرفعها، لأنه شخص يشعر بالمسؤولية والعطف تجاه أصحابه، ولمّا كان التاريخ حافلاً بالمظالم ولم يتدخل هو لعلاجها، فهو إذاً غير موجود وإلاّ فما الفائدة من وجوده؟

٢ ـ ينفي القاضي عبدالجبار وجود الإمام المهدي بذريعة عدم الجدوى في غيبته، إذ يقول: (.. إذا لم يظهر الإمام حتى يزول النقص به، يكون الحال فيه كالحال ولا حجة في الزمان، لأن النقص لا يزول بوجود الإمام، وإنّما يزول بما يظهر منه ويعلم من قبله)[١٣].

فمفاد تشكيكه في مسألة غيبة الإمام، أنّ وجود الإمام وضرورته تكمن في فائدته التي تعني إكمال النقص في حياة الأمة الإسلامية، وبما أنه غائب عن الأنظار، والأمة عاجزة عن الأخذ منه والتزود من علمه، فإذاً هو وجود بلا عطاء، وضرورة وجوده محصورة بفائدته، وحيث لا فائدة فلا ضرورة للوجود، لأنّ الإمامة موقف وعلاج.

٣ ـ ويقول التفتازاني: (لأنّ اختفاء الإمام هذا القدر من الأنام، بحيث لا يذكر منه إلاّ الاسم بعيد جداً، ولأنّ بعثه مع هذا الاختفاء عبث، إذ المقصود من الإمامة صون الشريعة وحفظ النظام ودفع الجور ونحو ذلك، ولو سلم فكان ينبغي أن يكون ظاهراً، لكي يظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت ليستظهر به الأولياء وينتفع به الناس)[١٤].

ولكن هذه الآراء ينقصها فهم الإمامة الذي حددته الشريعة، إذ تعني أنّ الإمام علم منصوب وعلى الناس أن تأتيه ومعنى الإتيان هو النصرة.

---

(١٣) المغني للقاضي عبدالجبار: ٥٧/١ .

(١٤) شرح المقاصد: ٣١٣/٥ .

وعليه فإنّ الإمام إذا لم يقم بالأمر ولم يتصد لبعض المشاكل، لأسباب خارجة عن إرادته، لا تسقط عنه الإمامة بدليل قول الرسول(صلى الله عليه وآله) عن الحسن والحسين: «**ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا**»[١٥].

وهكذا فإن الإمام الذي يقعد عن القيام بالأمر مرغماً لا يفقد إمامته، وكذلك إذا اضطرّ الى التخفي والعمل السري يبقى إماماً، لأنّ الله لا يخلي أرضه من حجة على عباده، والحجة تقوم بوجود العارف بأحكام الله، المطمأن إليه وهو الإمام المعصوم.

والمولى بعد أن بيّن أحكامه في الرسالة الخاتمة، أخذ على نفسه تسهيل سبيل الهداية لهم عن طريق تنصيب الإمام الذي هو لطف من الله فإذا تنكروا لهذه الحجة يكون الله قد أقام عليهم الحجة وبالتالي يكونوا هم المسؤولون عن إضاعة فرصة الاستفادة من قيام الإمام بالأمر.

والإمام إذا توفرت له الفرصة للقيام بالأمر، يقوم حتى لو كانت النصرة مشكوكاً فيها، وهذا ما فعله الإمام الحسين، أما إذا انعدمت بالمرة كما فعل الإمام الحسن وتعرضت حياته للخطر، هنا يكون خيار العمل عن طريق الأسلوب السري وتزداد درجة سريته بزيادة درجة الخطورة، حتى يصل العمل عن طريق الغيبة.

ثم إنّ الغيبة لا تثبت عدم الحاجة والفائدة بدليل ما يتخبط فيه الناس اليوم دون إصابة وجه الحق، الأمر الذي دفعهم الى التشبث بالظنون في كثير من المواقف الشرعية. أما المسؤول عن التخبط هذا فهو من فوّت الفرصة عليهم للاستفادة من الإمام، وهذا ما يذهب إليه الشريف المرتضى حيث يقول: (إذا لم يظهر الإمام لإخافة الظالمين له ولأنهم أحوجوه الى الغيبة كانت الحجة في فوت المصلحة به عليهم، فكانوا هم المانعين أنفسهم من الانتفاع به)[١٦].

وهذا لا يعني أنّ الانتفاع بالإمام حال غيبته منعدمٌ.

وقد أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، حين سئل عن ذلك فقال: «**كانتفاع الناس بالشمس إذا غيبها السحاب**».

---

(١٥) الإرشاد للشيخ المفيد: ٣٠/٢ .

(١٦) الاحتجاج للطبرسي: ٢٨٤/٢ .

## الأمر الثّالث

## الروايات تتحدث عن فائدة الإمام(عليه السلام) حال غيبته

ورد عدد من الروايات عن النبي وأهل بيته، تحدثت عن فائدة الإمام المهدي ودوره في ترشيد الأُمة وهدايتها أثناء غيبته الكبرى .

**أوّلاً:** إنّ وجود الحجة وإن كان محجوباً عن الأبصار إلاّ أنه أمان لأهل الأرض كما صرّحت بذلك طائفة من الأخبار منها:

أ ـ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»(١٧).

**ب ـ** قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**لا يزال هذا الدين قائماً الى اثني عشر أميراً من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها**»(١٨).

**ج ـ** قال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام): «**... اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة...**».

الى غير ذلك من الأخبار الناطقة بأنّ الأئمة الطاهرين(عليهم السلام)أمانٌ لأهل الأرض، وأنّ لهم عائدة كبرى على المسلمين بدفع البلاء عنهم، ورفع ما ألمّ بهم من مكروه، والإمام المهدي(عليه السلام) في وجوده وغيابه مصدر خير ورحمة الى الناس.

وقد أشار الى الوجه الأوّل والثاني المحقّق الطوسي (رحمه الله)قائلاً: «وجوده ـ أي الإمام المنتظر ـ لطف، وتصرفه لطف آخر هذا **أوّلاً**»(١٩).

**ثانياً:** إنّ الإمام (عليه السلام) في حال غيابه يرعى شيعته، ويمدّهم بدعائه الذي لا يحجب، ولولا دعاؤه لهم لما أبقى منهم الظالمون أحداً يتنفس الصعداء، وقد أعلن الإمام المنتظر ذلك

---

(١٧) ذخائر العقبى: ١٧، كنز العمال: ١١٦/٦، مجمع الزوائد: ١٧٤/٩، فيض القدير: ٢٩٧/٦، لفظ الحديث: «**النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي**» وفي مستدرك الصحيحين: ٤٥٨/٣، إن النبي(صلى الله عليه وآله) خرج ذات ليلة، وقد أخّر صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة والناس ينتظرون في المسجد، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: ننتظر الصلاة، فقال: إنّكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتموها، ثم قال: «**أما أنها صلاة لم يصلها أحد ممن كان قبلكم من الأمم**»، ثم رفع رأسه الى السماء فقال: «**النجوم أمان لأهل السماء فإن طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون**» الى أن قال: «**وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون**».

(١٨) منتخب الأثر: ٢٧ نقلاً عن كشف الأستار.

(١٩) التجريد للطوسي: ٢٨٩ ط ايران.

في إحدى رسائله للشيخ المفيد، فقد قال(عليه السلام) : «**إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء**[٢٠]**، واصطلمكم الأعداء...**»[٢١].

**ثالثاً:** أ ـ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد أن سأله جابر بن عبدالله الأنصاري: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟ فقال:

«**إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان جللها السحاب**»[٢٢] .

ب ـ إنّ الإمام المنتظر(عليه السلام) أعرب عن الفائدة من غيابه عن الأبصار، بقوله(عليه السلام): «**وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالشمس إذا غيبتها الأبصار**» وقد سأل سليمان الأعمش بن مهران الإمام الصادق(عليه السلام)، فقال له: كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ فأجابه الإمام: «**كيف ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب**»، وأفاد المجلسي في توجيه الحديث وجوهاً وهي:

١ ـ إنّ نور الوجود والعلم والهداية تصل الى الخلق بتوسطه(عليه السلام)إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود الى غيرهم، وببركتهم، والاستشفاع بهم والتوسّل إليهم تظهر العلوم والمعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: (**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**)[٢٣] ولقد جربنا مراراً لا نحصيها أن عند انغلاق الأمور وإعضال المسائل، والبعد عن جانب الحق تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لما استشفعنا بهم، وتوسلنا بأنوارهم فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت تتكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.

٢ ـ كما أنّ الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في انكشاف السحاب عنها وظهورها انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبته(عليه السلام)ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كلّ وقت وزمان.

٣ ـ إنّ منكر وجوده(عليه السلام) كمنكر وجود الشمس إذا غيبها السحاب.

٤ ـ إنّ الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من نورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته(عليه السلام) أصلح لهم في ذلك الزمان دون غيره[٢٤].

---

(٢٠) اللأواء: الشدة والمحنة. المنجد، مادة «لأي».

(٢١) تهذيب الأحكام للطوسي: ٣٨/١ .

(٢٢) بحار الأنوار: ٩٣/٥٢.

(٢٣) الأنفال: ٣٣ .

(٢٤) بحار الأنوار: ٩٣/٥٢ ـ ٩٤ .

**رابعاً:** إنّ الفائدة والحكمة من غيابه مجهولة لدينا، كما صرّحت بذلك بعض الأخبار، فقد روى عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الإمام الصادق(عليه السلام)يقول:

**«إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل..».**

وطفق عبدالله قائلاً:

«لِم جعلت فداك؟...»

فقال(عليه السلام): **«الأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم..».**

وسارع عبدالله قائلاً:

«ما وجه الحكمة في غيبته؟...»

فأجابه الإمام(عليه السلام):

**«وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره...**

**إنّ وجه الحكمة لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى، إلاّ وقت افتراقهما.**

**يابن الفضل، إن هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله عزّ وجلّ، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجل حكيم، صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا»**[٢٥].

وفي خطبة لأمير المؤمنين في مسجد الكوفة ـ نقلها بعض ممّن يوثق به من أصحابه ـ قال فيها: **«اللهمّ فإنّي لا أعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع مواده، وأنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك، ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم»**[٢٦].

عن حنان بن سدير، عن أبيه سدير بن حكيم، عن أبيه أبي سعيد عقيصاً، قال: لما صالح الحسن بن علي(عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان، دخل الناس عليه فلامه بعضهم على بيعته، فقال(عليه السلام): **«ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **عليَّ؟** قالوا: بلى.

قال: **أما علمتم أن الخضر**(عليه السلام) **لما خرق السفينة وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم**(عليه السلام)**خلفه، فإنّ الله عزّ وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي**

---

(٢٥) جلاء العيون: ١٥٧/٣ ـ ١٥٨ .

(٢٦) الكافي: ٢٧٤/١ .

**الحسين ابن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة وذلك ليعلم أنّ الله على كل شيء قدير»**[٢٧].

قال الإمام زين العابدين(عليه السلام) :

**«لا يطّلع على موضعه أحد من وليٍّ ولا غيره، إلاّ الذي يلي أمره...»**[٢٨] .

**خامساً:** وجه الانتفاع بالإمام حال الغيبة كالانتفاع من الأنبياء حين احتجبوا، وله(عليه السلام) سنّة من الأنبياء.

قال الإمام الباقر(عليه السلام) :

**«لابد لصاحب هذا الأمر من عُزلة، ولابدّ في عزلته من قوّة، وما بثلاثين من وحشة، ونعم المنزل طيبة»**[٢٩] وقد رُوي بلفظه عن الصادق(عليه السلام). وهو يدل صراحة على أنه يقضي معظم وقته في جوار جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)يعيش مع ثلاثين من خدمه وخاصته الذين كلّما مات منهم واحد قام واحد، جعلهم الله قادرين على كتمان أمره وعصمهم عن البوح بمكان إقامته ومحل وجوده.. وقد قال(عليه السلام) موضحاً:

**«إن لصاحب هذا الأمر بيتاً، يقال له بيت الحمد، فيه سراجٌ يزهر منذ يوم ولد الى أن يقوم بالسيف، لا يطفأ**[٣٠]**. والبيت لابدّ أنه محجوب عن الأبصار هو ونوره كما حُجب صاحبه.. محجوب بهذا المعنى أو بمعنى أنه منعزل عن الناس وعن كل مكان تدبّ فيه الأقدام».**

قال الإمام الصادق(عليه السلام) : **«في صاحب هذا الأمر شبه من يوسف، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات، يريد أن يستر حُجّة؟! لقد كان يوسف إليه مُلك مصر، وكان بينه وبين والده ثمانية عشر يوماً. فلو أراد الله أن يعرف مكانه لقدر على ذلك. والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم الى مصر! فما تُنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، أن يكون يسير في أسواقهم، ويطأ بُسُطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عزّ وجل أن يُعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال: (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ قالوا: أئنّك لأنت يوسف! قال أنا يوسف وهذا أخي)»**[٣١] .

وجاء عنه(عليه السلام) بلفظ:

---

(٢٧) كما الدين: ٣١٥/١، كفاية الأثر: ٣١٧ .

(٢٨) بحار الأنوار: ١٥٣/٥٢ و٣٢٤/٥٣، إلزام الناصب: ٩٨ و١ ١٧٤ نقلاً عن البرهان، الغيبة للطوسي: ١٠١ عن الصادق(عليه السلام) ومثله في منتخب الأثر: ٢٥١ و ٢٥٣ عن الحسين(عليه السلام) ومثله في بشارة الإسلام: ٨٦ .

(٢٩) الغيبة للطوسي: ١٠٢، بحار الأنوار: ١٥٣/٥٢ و١٥٧ عن الصادق(عليه السلام) ومثله في الكافي: ٣٤٠/١ ومثله في الغيبة للنعماني: ٩٩ .

(٣٠) الغيبة للطوسي: ٢٨٠، بحار الأنوار: ١٥٨/٥٢، إعلام الورى: ٤٣١، إلزام الناصب: ١٣٩، الغيبة للنعماني: ١٢٦ عن الصادق(عليه السلام) .

(٣١) يوسف: ٩٠، والخبر في منتخب الأثر: ٢٥٥ و ٣٠٠ أوّله، والكافي: ٣٣٧/١، بحار الأنوار: ١٤٢/٥١و ١٥٤/٥٢، إعلام الورى: ٤٠٥.

**«في القائم سُنّة من موسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من عيسى. وسنّة من محمد**(صلى الله عليه وآله)**. فأما سنّة موسى فخائف يترقب. وأما سنّة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه** ـ أي يبيعون ويشترون منه ـ **ويخاطبونه ولا يعرفونه. وأما سنّة عيسى فالسياحة. وأمّا سنّة محمد** (صلى الله عليه وآله)**فالسيف»**[٣٢].

ثم ضرب هذا المثل في حديث آخر قائلاً:

**«ما ينكر هذا الخلق الملعون، أشباه الخنازير من ذلك؟! إن إخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء، أسباطاً أولادَ أنبياء، دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه، وكانوا إخوته وهو أخوهم، حتى عرّفهم نفسه وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذ. فما تنكر هذه الأمة المتحيّرة؟ ما يُنكر هذا الخلق أن يكون صاحبهم المظلوم، المجحود حقّه، صاحب هذا الأمر، يتردّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه»**[٣٣]**؟!**

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) :

**«ألا ومن أدركها منّا، يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليحلّ ربقاً ويعتق رقاً، ويصدع شِعباً، ويشعب صدعاً. يسري في سترة عن الناس، لا يُبصر القائف أثره ولو تابع نظره»**[٣٤] .

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام) أيضاً:

**«حتى إذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس، وباح الناس بفقده، وأجمعوا على أن الحجّة ذاهبة والإمامة باطلة.. فوربّ عليّ إن حجتها عليها قائمة، ماشية في طُرقاتها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق الأرض وغربها، تسمع الكلام وتسلّم على الجماعة، ترى ولا تُرى الى الوقت والعد ونداء المنادي من السماء»**[٣٥] .

هذه بعض الفوائد التي ذكرتها الروايات حال غيبة الإمام المهدي(عليه السلام) .

---

(٣٢) إلزام الناصب: ٥٥، وفي ص ٦٧ مرويّ عن الباقر(عليه السلام) .

(٣٣) الغيبة للنعماني: ٨٤، الكافي: ٣٣٦/١ بلفظ قريب، ومثله في بحار الأنوار: ١٤٢/٥١، و١٥٤/٥٢.

(٣٤) نهج البلاغة: ٤٧/٢، منتخب الأثر: ٢٧٠، ينابيع المودة: ٩٤/٣، المهدي: ١٨، الإمام المهدي: ٨٣ ـ ٨٤ .

(٣٥) بشارة الإسلام.

## الأمر الرّابع: مهام الإمام(عليه السلام) خلال احتجابه

تتركز مهام الإمام مع ملاحظة انقياد الأمة وطاعتها له في الأمور التالية:

١ ـ تولّي رئاسة الدولة وقيادة الأمة، بمعنى تطبيق الأطروحة الكاملة للعدل الإلهي على وجه الأرض، والأخذ بزمام أمور المجتمع وإداراته لأجل ضمان هذا التطبيق.

٢ ـ الدعوة الإسلامية، بمعنى دعوة المجتمع الكافر للدخول في بلاد الإسلام .

٣ ـ الحفاظ على المجتمع المسلم ضد الغزو الخارجي، والدفاع عن بيضة الإسلام بالنفس والنفيس.

٤ ـ صيانة المجتمع المسلم من الانحراف، وشيوع الفساد في العقيدة أو السلوك، بالتوجيه الصحيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ تعاليم الإسلام.

وهذه الأمور الأربعة تجب وجوباً مطلقاً في أي مكان وزمان، ويجب أن يبذل الإمام والأمة في سبيلها أقصى ما يستطيع وتستطيع .

٥ ـ وفي صورة عدم إمكان تحقق كل من الأمورالسابقة ; لكونه يعيش في مجتمع منحرف يطارده ويراقبه ويعزله عن المهام الاجتماعية والسياسية، كما كان الوضع بالنسبة لسائر الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) .

ففي مثل ذلك يكون عمل الإمام(عليه السلام) مكرّساً ـ في الأغلب ـ على الحفاظ على قواعده الشعبية ومواليه، وعلى حسن علاقتهم بالآخرين، وحسن تلقّيهم تعاليم الدين وتطبيقهم أحكام الإسلام.

نعم، إن وَجد الإمام طريقاً الى القيام ببعض الأعمال الإسلامية على نطاق واسع، وكان المانع مرتفعاً عنه في ذلك العمل أنجزه، ولا سيّما إذا كان ذلك العمل أوسع من قواعده الشعبية وشاملاً لكلّ بلاد الإسلام.

٦ ـ إغاثة الملهوف وإعانة المضطرّ، وهو تكليف عامّ لا يختصّ بالإمام(عليه السلام)، بل يعمّ كل مسلم، نعم قد يحول العجز عن الإغاثة، أو يحوّل وجود عمل أو هدف إسلامي أهمّ عن الإغاثة، فيسقط وجوبها.

إنّ الإمام المهدي(عليه السلام)، مذخور للقيام بتأسيس وإدارة دولة الحقّ العالمية في اليوم الموعود، وهو من أعظم الأهداف الإلهية، التي ترتبط بأصل خلق البشرية ووجودها. وقد علمنا من القواعد العامة بما فيها قانون المعجزات، بأنّ الأهداف الإلهية العليا تتقدّم على أي

شيء آخر، فكل ما تتوقف هذه الأهداف العليا على حدوثه، فإنّه يحدث لا محالة، وكل ما تتوقف على انتفائه وانعدامه فإنّه ينتفي لا محالة، سواء كان ذلك من أمور الكون، أو من أحكام الشريعة.

فإذا نظرنا الى هذا الهدف المهم الذي دُخر الإمام المهدي(عليه السلام)له، وجدنا أموراً عديدة يتوقف هذا الهدف على حدوثها كوجود المهدي(عليه السلام) وغيبته نتيجة لعدم إمكان ظهوره على مسرح الأحداث قبل توفر الظروف الملائمة لثورته العالمية، والمعجزة التي تتكفّل بطول بقائه، والمعجزة التي تتكفّل باختفائه الشخصي أحياناً لصيانته من الأخطار، كما نجد أموراً يتوقف اليوم الموعود على انتفائها، فمن ذلك في جانب الأحكام:

إنّ كلّ حكم شرعي اجتماعي يكون تطبيقه متنافياً مع حفظ الإمام المهدي(عليه السلام)، وبالتالي يكون متنافياً مع تحقق اليوم الموعود، فإن وجوب تطبيق هذا الحكم يكون ساقطاً شرعاً عن الإمام(عليه السلام)، ولا يجب عليه إمتثال هذا الحكم وتنفيذه، وأمّا الأحكام الشرعية الإسلامية غير المنافية لهذه الأمور، سواء كانت أحكاماً فردية كوجوب الصلاة والصوم، أو أحكاماً اجتماعية عامّة كوجوب الأمر بالمعروف ـ مثلاً ـ ، فلا موجب للإلتزام بسقوطها، بل تكون شاملة له، وعليه تنفيذها لاستطاعته، وعدم منافاتها مع غيبته والهدف من وجوده.

إذا علمنا ذلك، استطعنا أن نحكم بوضوح بسقوط التكليف بأي واحد من الأمور السابقة، إذا كان مستلزماً لانكشاف أمره وزوال الحكمة من غيبته، وهذا واضح الى حد كبير في الأمور الثلاثة الأولى، فإنّه مستلزم لذلك عادة، إلاّ أن يفترض كونه قائداً أو موجّهاً بشخصية ثانوية يُعرَفُ بها غير صفته الحقيقية .

أما الكيفية التي يتحرك من خلالها الإمام المهدي(عليه السلام) حال غيبته الكبرى، فتتصور بأحد شكلين:

**الشكل الأوّل:** إن الإمام المهدي(عليه السلام)يختفي بجسمه عن الأنظار، فهو يرى الناس ولا يرونه، وبالرغم من أنّه قد يكون موجوداً في مكان إلاّ أنه يُرى المكان خالياً منه.

أخرج الصدوق في «إكمال الدين» بإسناده عن الريّان بن الصلت، قال: سمعته يقول: سئل أبو الحسن الرضا(عليه السلام) عن القائم(عليه السلام)فقال:: **«لا يرى جسمه ولا يسمّى باسمه»**[٣٦].

وأخرج بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد(عليه السلام) في حديث، قال: **«الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته»**[٣٧].

---

(٣٦) الكافي: ٣٣٣/١، باب نادر في غيبته ح٢ .

(٣٧) بحار الأنوار: ١٤٣/٥١.

وأخرج أيضاً بإسناده عن عبيد بن زرارة، قال سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: «**يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه**»[٣٨].

وهذا الشكل أسهل افتراض عملي لاحتجاب الإمام المهدي(عليه السلام)عن الناس ونجاته من ظلم الظالمين، فإنّه في اختفائه هذا يكون في مأمن قطعي حقيقي من أي مطاردة، أو تنكيل حيثما كان على وجه البسيطة.

وهذا الاختفاء يتمّ عن طريق الإعجاز الإلهي، كما تمّ طول عمره لمدى السنين المتطاولة بالإعجاز أيضاً، وكان كلا الأمرين لأجل حفظ الإمام (عليه السلام) عن الموت والأخطار، لكي يقوم بالمسؤولية الإسلامية الكبرى في اليوم الموعود.

ويضاف لهذا الشكل بأنّ هذا الاحتجاب قد يزول أحياناً عندما توجد مصلحة في زواله: كما لو أراد الإمام المهدي(عليه السلام) أن يقابل شخصاً من البشر لأجل أن يقضي له حاجة، أو يوجّه له توجيهاً، أو ينذره إنذاراً. فإنّ المقابلة تتوقّف على رؤيته، ولا تتمّ مع الاختفاء.

وعلى ذلك تحمل كلّ أخبار مشاهدة الإمام المهدي(عليه السلام) خلال غيبته، حتى ما كان خلال الغيبة الصغرى، ويذكر التاريخ بأنّ الإمام المهدي(عليه السلام) ظهر لعمّه جعفر الكذّاب مرّتين، ثم اختفى من دون أن يعلم أين ذهب، وهذا الشاهد يؤيّد صحّة هذا التصوير.

**الشكل الثاني: خفاء العنوان**[٣٩]: ونريد بذلك أن الناس يرون الإمام المهدي(عليه السلام)بشخصه دون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين الى حقيقته.

ومن المعروف أنّ الإمام المهدي(عليه السلام) قد رباه أبوه محتجباً عن أعين الناس، إلاّ القليل من الخاصّة، الذين أراد أن يطلعهم على وجوده، ويثبت لهم إمامته من بعده، ثم إزداد الإمام المهدي(عليه السلام)احتجاباً بعد وفاة أبيه، وأصبح لا يتصل بالناس إلاّ عن طريق سفرائه الأربعة ، غير أن عدداً من الخاصة المأمونين على السرّ الذين كانوا يبحثون عن الخلف بعد الإمام العسكري(عليه السلام)، كعلي بن مهزيار الأهوازي وغيره، وإن علموا به إلاّ أن الإمام المهدي(عليه السلام)كانيؤكد عليهم في كل مرة الكتمان والحذر.

وكلّما تقدمت السنون في الغيبة الصغرى وتقدّمت الأجيال، وقلّ الذين كانوا قد عاصروا الإمام العسكري(عليه السلام) وشاهدوا
ابنه المهدي(عليه السلام)، حتى انقرضوا بالتدريج، ووجدت أجيال
جديدة لا تعلم أسلوب إتصالها بالإمام إلاّ الإتصال بسفيره على أفضل تقدير.

---

(٣٨) الإمامة والتبصرة: ١٢٦، ح١٢٦، كمال الدين للصدوق: ٣٤٦، ح ٣٤ .

(٣٩) محمد الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى: ٧ ـ ١٠ .

وكان هذا الجيل ـ بشكل عام ـ جاهلاً لملامح وجه إمامه المهدي(عليه السلام)، بحيث لو واجهوه لما عرفوه إلاّ بإقامة الأدلة القطعية على شخصيته.

ومن هنا تيسّرت له فرصة السفر الى مختلف أنحاء البلاد كمكّة ومصر، من دون أن يكون ملفتاً لنظر أحد.

وهذا ما نعنيه من خفاء العنوان، فإن أي شخص يراه يكون غافلاً بالمرة عن كونه هو الإمام المهدي(عليه السلام)، وإنّما يرى فيه شخصاً عادياً كسائر الناس لا يلفت النظر على الإطلاق.

ويمكن للمهدي(عليه السلام) أن يعيش في أي مكان يختاره، وفي أي بلد يفضّله سنين متطاولة، من دون أن يُلفت الى حقيقته نظر أحد، وتكون حياته في تلك الفترة كحياة أي شخص يكتسب لمعيشته من بعض الأعمال الحرّة، كالتجارة أو الزراعة أو غيرها، ويبقى على حال هذه في مدينة واحدة أو عدة مدن، حتى يأذن الله تعالى له بالفرج.

والأدلة التي يمكن اعتمادها لصحة هذا الشكل الأخبار الواردة بهذا الصدد.

١ ـ منها ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة عن السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري، أنه قال: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»(٤٠).

والمقصود بصاحب هذا الأمر: الإمام المهدي(عليه السلام)، والمراد بالموسم موسم الحج، والرواية واضحة الدلالة على عدم اختفاء الشخص ومقترنة بالقسم بالله تعالى تأكيداً، وصادرة من سفير الإمام المهدي(عليه السلام)، وهو أكثر الناس اطّلاعاً على حاله.

٢ ـ ومنها ما ورد عن السفير من قوله حول السؤال عن اسم الإمام المهدي(عليه السلام)،وإذا وقع الاسم وقع الطلب(٤١).

فإنّه ليس في طلب الحكّام للمهدي(عليه السلام) ومطاردتهم له، أي خطر ولا أي تأثير، لو كان الشكل الأوّل صادقاً وكان جسم المهدي(عليه السلام)مختفياً، إذ يستحيل الوصول إليه، وإنّما الخطر يكمن في إمكان كشفه فيما إذا لم يكن مختفياً بجسمه، والنهي عن الاسم إنّما يكون تجنّباً للمطاردة، وهذا ينسجم مع الشكل الثاني. فإنه ما دام عنوان المهدي(عليه السلام) واسمه مجهولين، يكون في مأمن عن المطاردة، وأما إذا «وقع الاسم» وعرف العنوان، لا يكون هذا الأمن متحققاً ويكون احتمال المطاردة قوياً.

---

(٤٠) الغيبة: ٣٦٣ .

(٤١) الغيبة، للشيخ الطوسي: ٢٤٤.

٣ ـ ومنها: ما ورد من التوقيع الذي خرج من المهدي(عليه السلام) الى سفيره محمد بن عثمان(رضي الله عنه) ، يقول فيه: «**فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه**»[٤٢].

فإنّه لو صدق الشكل الأوّل لم يكن رؤية المهدي(عليه السلام)في أي مكان على الإطلاق ولم يكن في الدلالة على أي مكان خطر أصلاً، وإنّما يكون الخطر موجوداً طبقاً للشكل الثاني.

٤ ـ ومنها: ما قاله أبو سهل النوبختي حين سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر الى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه[٤٣].

ومن الواضح انّه لا معنى لكل هذه الاحتياطات والتحفظات، مع صحة الشكل الأوّل في اختفاء شخص المهدي(عليه السلام)، وإنّما ينبغي كل هذا التحفظ مع صحة الشكل الثاني، فإن الدلالة على المكان هي فرع انكشاف العنوان، والقائل لهذا الكلام هو أبو سهل النوبختي الذي كان من جلالة القدر والوثاقة، بحيث كان من المحتمل أن يكون هو السفير عن الإمام(عليه السلام).. ومن هنا سئل في هذه الرواية عن سبب غضّ النظر عنه وإبداله بالشيخ ابن روح.

ولابد من الإشارة الى أن هناك مجموعة من العوامل ساهمت في إبعاد الناس عن التصدي للبحث عن الإمام(عليه السلام) ، وهي:

١ ـ الجهل بوجهه المبارك وهيئة جسمه جهلاً تاماً، وهو عامل مشترك بين أعدائه ومحبّيه.

٢ ـ إنكاره من قبل غير قواعده الشعبية بما فيهم سائر الحكام الظالمين، الذين يمثّل المهدي(عليه السلام) رمز الثورة عليهم وإزالة نظمهم من الوجود، فهم في إنكارهم له مرتاحون عن مطاردته، وهو في راحة من مطاردتهم.

٣ ـ إرتكاز صحة الشكل الأوّل عند عدد من قواعده الشعبية، أخذاً بظواهر الأخبار التي سمعناها; إذ مع صحتها لا يكون هناك سبيل الى معرفته، بل يستحيل الإحساس بوجوده إلاّ عن طريق المعجزة، وهي لا تتحقّق إلاّ للأوحدي من الناس.

٤ ـ الإيمان بعناية الله تعالى له وحفظه ليومه الموعود، فمتى تعلقت المصلحة بالمقابلة مع الإمام المهدي(عليه السلام) ، كان هو الذي يريدها. ومتى لم تتعلّق المصلحة، فالأصلح

---

(٤٢) الغيبة، للشيخ الطوسي: ٣٦٤ .

(٤٣) الغيبة، للشيخ الطوسي: ٣٩١ .

للإسلام والمسلمين ألا تتمّ المقابلة، وإن تحرّق الفرد المؤمن إليها شوقاً، ومن هنا يكون الفرد الاعتيادي في حالة يأس من مقابلته والتعرّف إليه.

وعليه فإن مهام الإمام التي ألقيت على عاتقه من جهة، وإمكانية أداء البعض منها من خلال تلك العناوين من جهة ثانية .

يبيّن مقدار الفائدة التي يمنحها الإمام للأمة من خلال الاستتار.[٤٤]

(٤٤) راجع تاريخ الغيبة الصغرى محمد الصدر .

## الأمر الخامس: الغيبة مرحلة لتمحيص الأمة واعدادها

تمثل غيبة الإمام الكبرى مرحلة من مراحل الاعداد والتكامل البشري، وهي تخضع لتخطيط إلهي حكيم، ويمارس الإمام دوره بغية تحقيق هذا الغرض عن طريق ترشيد الأمة وتعميق وعيها من خلال الاستتار، كما تدخل مفردات أُخرى في هذا المخطط شبيهة ببعض الصفات مع مسألة غيبة الإمام رغم عدم توصلنا الى الحكمة من هذه الأدوار، منها غيبة الخضر وبقائه حياً عبر القرون المتطاولة، وغيبته قد أقرتها كل الطوائف الإسلامية قديماً وحديثاً باستثناء المعتزلة وتبقى مسألة نوع الفائدة من غيبته قيد التحليل العقلي لا أكثر ومن المسلم به أن لوجوده الشريف منفعة، فكذا ما نحن فيه فإذا جهلنا مثلاً الحكمة أو الفائدة من غيبة الإمام فهذا لا يؤدي الى نكران الوجود أو الفائدة، ولذا فنحن نتعبد ببعض التشريعات العبادية التي أوجبها الشارع بغض النظر عن معرفة الحكمة منها كالحلق والذبح ورمي الجمار في الحج وغير ذلك.

وعليه، يمكن القول بأن الفائدة من غيبة الإمام وحضوره مع الأمة وهو مستتر تؤدي هذا الدور، الى اختبار المسلمين وتمحيص المؤمنين وتأهيلهم إسلامياً لأداء مسؤولياتهم المناطة بهم، كمكلفين عبر المفاهيم والقيم والأحكام التي تلقتها الأمة وتربت عليها من قبل النبي(صلى الله عليه وآله)والأئمة(عليهم السلام).

وتتضخم المسؤولية وتكبر حين يرتقي مستوى الإنسان إيماناً، ولذا نجد الأنبياء أشد الناس بلاءً لأنهم أكمل الناس، هذا على المستوى الفردي أما على المستوى الجماعي فيندرج تحت اختبار وتمحيص الأمم، الأمر الذي يتوقف رقيها على ضوء مرورها بامتحانات عسيرة تؤهلها لحمل الرسالة، وبما أنّ الأمة الإسلامية خير الأمم فتترقب أداء دورها الذي يتكرس بقيام الدولة الإسلامة وتطبيق العدالة الإلهية آخر الزمان.

من هنا نبّه القرآن الى هذه السنّة أي سنة الاختبار في موارد متعددة قال تعالى: (**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**)[٤٥] . وقوله تعالى: (**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ ا لْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ ا لْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**)[٤٦] . وعن النبي(صلى الله عليه وآله)قال: «**لابد من فتنة تبتلى بها الأمة بعد نبيّها ليتعين الصادق من**

---

(٤٥) العنكبوت: ١ ـ ٣ .

(٤٦) آل عمران: ١٧٩ .

**الكاذب لأن الوحي قد انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيامة»**[٤٧]. وقال(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام): «**يا علي سيفتنون بأموالهم ويمنون بدينهم على ربّهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية. فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع**، قلت يا رسول الله فأي المنازل أنزلهم منزلة ردّة أم منزلة فتنة؟ قال(صلى الله عليه وآله) : **بمنزلة فتنة»**[٤٨].

ولقد اختبر الله المسلمين الأولين بالهجرة تارة، وبالحرب أخرى، وبالانتصار مرة، وبالانتكاسة ثانية، ولو شاء أن يجعل لهم النصر في كل ذلك لفعل، لكنه الاختبار، لكنه التمحيص، لكنها الفتنة، واختبر الله من جاء بعدهم ـ من التابعين وتابعيهم ـ أن يعيشوا وأئمتهم عليهم الصلاة والسلام في اضطهاد، وقتل، وحبس، وتشريد. وما أعظم النكبة عليهم وهم يشاهدون موسى ابن جعفر(عليه السلام) ـ مثلاً ـ في الحبس، والأمر تملكه النسوان والخدم. وتأتي غيبة الإمام كأحد الاختبارات للأمة المسلمة ليتبين ثباتها وتمسّكها بالإسلام.

وليست محن الحياة الكثيرة، ورزاياها المتعددة وأدوار العسر والشدّة، وجميع مكاره الحياة إلاّ تكميلاً للنفوس، وصقلاً للصفات الخيرة في الإنسان ليخرج منها بإنقطاع نحو الله تعالى والتوجه إليه جل شأنه. ومصيبتنا في غيبة إمامنا(عليه السلام) لا تعدو أن تكون من هذه المصائب إن لم تكن أعظمها، وهي مدعاة للتوجه نحو الله تبارك وتعالى، والانقطاع إليه لنصرة الحق، وإصلاح المجتمع وتعجيل الفرج. وفي هذا ما فيه من تكميل للنفوس، وتهذيب للصفات، واصلاح للغرائز[٤٩].

---

(٤٧) تفسير الصافي: ٣٦٣.

(٤٨) تفسير الصافي: ٣٦٤.

(٤٩) الإمام المهدي(عليه السلام)، لعلي محمد على دخيل: ١٣٣ ـ ١٤١ .

## الأمر السّادس
## مقارنة بين فوائد الإمام حال الظهور وأثناء الغيبة

قد يتوهم البعض حين يقارن بين منافع الإمام المهدي(عليه السلام)للأمة وهو غائب ومستور عنها، وبين منافعه وهو ظاهر للعيان حين يمارس دوره القيادي مع الأمة مباشرة، أنّ منافعه وهو ظاهر لا تقارن مع دوره وهو مستور وغائب عن الأمة، إذ لا فائدة بدوره والأمة لا تعلم أين مكانه، وكيف تتصل به من أجل حل مشكلاتها، فالغياب عن المسرح السياسي والاجتماعي يعطل دور الإمام وينقض أهدافه .

وهذا التصور ليس بصحيح، لأنه ناتج عن أفق ضيّق يحصر دور الإمام ومسؤوليته ضمن أهداف جزئية محدودة وطارئة، كما أنّ هذا التصور لا يمتلك بعداً عقائدياً، فالعقيدة الإسلامية ترى الإمام المعصوم قائداً ينوب عن الرسول(صلى الله عليه وآله)، وله مهام أوسع من هذا الاطار المحدود والعاجل الضيّق .

نعم، إنّ الأعمال التي يؤديها الإمام وهو ظاهر، والمنافع والمكاسب التي تعود للأمة من خلالها كثيرة جداً، مع فرض أنّ الأمة تنصره وتضحّي من أجله.

فحين يتصدّى للحكم مثلاً ينعم أتباعه بالخير والرفاه، وتقوى سلطتهم، ويكونون أقوى لدفع الضيم والفساد عن حياتهم، وبطبيعة الحال أنّ هذه المنافع لا تتحقق بكاملها خلال دور الاستتار والغيبة.

ولكن المفارقة تظهر بين الدَّورين، حين تلاحظ منافع الإمام للأمة والرسالة، وهو يواجه الظلم والفساد من موقعه المستور، فلمّا كانت منافع الظهور تتجلى في المنافع الدينية والأخروية، فإن منافعه حال الاستتار تتسع أكثر من ذلك حين يقوم بأعمال أخرى، كتغييره للمعادلات السياسية، أو الثقافية في العالم، من أجل أن تكون في خدمة الرسالة ومع خطها الأصيل وغيرها من الفوائد المستورة، وهذا شبيه بالدور الذي تؤديه الأجهزة الأمنية السرية في العالم، حيث تقوم بخدمات متنوعة لحكوماتها. فلا ينبغي ترجيح منافع الإمام حين الظهور على منافعه حين الاستتار، بل لكل منها لون من الانتفاع يختلف فيه عن الآخر.

ثم إنّ منافع الاستتار، التي نترقبها من الإمام إذا لم تتحقق في معناها الآني، فهذا لا يبرر سقوط تكليف الإمام في غيبته، إذ أنّ له مهاماً إلهية أخرى يؤديها حال غيبته وهي ذات منافع

أقوى بكثير من التي نطمع فيها، وهو قادر على أدائها على أكمل وجه، بعكسه الأعمال الدنيوية التي تكلف الإمام جهداً مضاعفاً وتضيّق من ساحة تحركه.

ويضاف الى ذلك أن دور الإمام من خلال الاستتار والغيبة يتسع لأكثر من دور، ويمنح الإمام حرية في تنوع الأدوار والأساليب، وإيجاد معادلات تهيّئ الإنسانية لقبول أطروحته الإلهية الموعودة.

أما لو لاحظنا فرض الحصار والرقابة الشديدة للأئمة الباقين، ممّا أدّى هذا النوع من النشاط لهم الى عدم تحمّل وجودهم أحياءً، في أوساط الأمة الإسلامية، حتى بادر الحكّام الى عزلهم بالكامل ومحاصرتهم، حتى في داخل بيوتهم وحياتهم الشخصيّة، فكان الإمام الرضا(عليه السلام) وليّاً للعهد ولكنّه كان مراقَباً على الدوام من قبل المأمون العباسي، وكانت زوجة الإمام الجواد(عليه السلام) بنت المأمون خير رقيب عليه، وسجن الإمام الهادي والعسكري (عليهما السلام) في سامراء الى جانب قصر الخليفة.

ولم تدم أعمار هؤلاء الأئمة طويلاً ولم تبلغ حتى متوسط العمر الطبيعي لكل إنسان، بالرغم من كونهم أصحّاء غير مبتلين بمرض يودي بحياتهم.

إذاً، تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) الحافل بالجهاد والنشاط الاجتماعي والسياسي غير المباشر، خير دليل على أن أهل البيت(عليهم السلام) ، هم أهل بيت الرسالة والأمناء عليها شاء الناس أم أبوا ذلك، وهم يمارسون واجباتهم كأئمة هداة على أي حال وفي كل الظروف، وإن انتهت ممارساتهم الجهادية الى القتل والسبي والتشريد والاضطهاد والسجن، حيث لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما شهد تاريخهم المجيد بذلك.

إنّ تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) بدءاً بالإمام علي(عليه السلام) وانتهاءً بالإمام العسكري(عليه السلام)، وهم يعيشون مختلف الظروف السياسية والاجتماعية القاسية، حافلٌ بصور الجهاد، التي لم نجد لها مثيلاً عند غيرهم من المسلمين، وحينئذ ألا يكون جهاد أصحاب هذا الخط المؤزّر بالتضحيات دليلاً واضحاً ومنطقياً على أنهم أعرف بمهامّهم، وأنهم لا يتخلّفون عنها بأي شكل ؟

ومن هنا سوف يولّد هذا الاستقراء لنا اطمئناناً نفسياً، بأن الإمام المهدي(عليه السلام)كسائر آبائه الطاهرين، يمارس مهامّه وهو غائب عن الأنظار، كما يمارسها وهو حاضر، ولا يتلكأ في ذلك رغم حراجة الظروف وصعوبتها. بل لعلّه بغيبته يكون أقدر على الممارسة والتحرك.

على أن مهامّ الأئمة الأطهار لا تتلخّص في ممارسة العمل السياسي، أو الجهادي المكشوف، بل إنّها تستوعب كلّ أوجه النشاط الاجتماعي والسياسي والثقافي للأمة، ولمجاهديها وعلمائها ورموزها بشكل مباشر، أو غير مباشر إن تعذّر التوجيه المباشر.

ولا يبعد أن يكون نشاط الإمام(عليه السلام) الاجتماعي والسياسي في غيبته أكثر وأكبر حجماً من نشاطه، ممّا لو كان ظاهراً يُعرف بشخصه، في عصر الغيبة الذي نتكلّم عنه.

وينبغي أن لا يغيب عنّا أن النشاط السياسي أو الاجتماعي هو أحد مهامّ الإمام المعصوم(عليه السلام)، التي تشمل الأمة المسلمة والرسالة الإسلامية، وما يتعلّق بهما بل الإنسانية جمعاء، وتبدأ هذه المهام بصيانة الرسالة والشريعة من التحريف، وصيانة الأمة الإسلامية من الانهيار والاضمحلال، وبالتالي صيانة وجودها السياسي وكيانها الدولي من الضعف إن أمكن ذلك، ثم قيادته العلنية للأمة الإسلامية إن توفّرت ظروفها وشروطها.

إذاً، فهو يحمل همّ شعبه ومواليه، يتذكرهم دائماً ويعمل لحفظهم ودرء المخاطر عنهم باستمرار، بمقدار ما يمكنه أن يؤدّيه من عمل تماماً، كما عرفنا ذلك عن آبائه(عليهم السلام)، وكما عرفناه في خلال غيبته الصغرى، غاية الفرق أن تلك الأعمال كانت منه ومن آبائه(عليهم السلام)بالصفة الحقيقية لهم، وأمّا عمله خلال هذه الفترة فليست بهذه الصفة، وإنّما بصفته فرداً اعتيادياً في المجتمع.

ولكن الإمام المهدي(عليه السلام) يتوخّى في موارد عمله وجود شرطين أساسيين: إن اجتمعا كان في إمكانه أن يتصدّى للعمل، وإن تخلّف أحدهما ترك العمل لا محالة وأبقى الواقع على واقعه.

**الشرط الأوّل:** أن لا يؤدي به عمله الى انكشاف أمره وانتفاء غيبته، إذ من الواضح أن المهدي(عليه السلام) حين يقوم بالأعمال العامة الإسلامية، بصفته فرداً عادياً في المجتمع يمكنه أن يستمر بها الى حدّ معين ليس بالقليل. ولكنه لو لمع اسمه واشتهر صيته
بـ «شخصيّته الثانوية»، لكان هناك احتمال كبير في انكشاف حقيقته وافتضاح سرّه. ولا أقلّ من انتباه الناس الى غموض نسبه وجهالة أصله، فيتوصّلون بالفحص والسؤال الى حقيقته، أو يحتملوا ذلك على الأقل، وهو ما لا يريده الله تعالى أن يكون.

إذاً، فعمل الإمام المهدي(عليه السلام) لابد أن يقتصر على الحدود التي لا تؤدي الى انكشاف أمره، فيدقّق في ذلك ويخطّط له، وهو الخبير الألمعي ويحسب لكل عمل حسابه، وأي عمل علم أنّ التدخل فيه يوجب الانكشاف انسحب عنه، مهما ترتّبت عليه من نتائج; لأنّ الحفاظ على سرّه وذخره لليوم الموعود أهم من جميع ما يتركه من أعمال .

ولكن هذا لا ينافي تأثيره في الأعمال اليومية الخيّرة التي نراها سائدة في المجتمع، وذلك لإمكان أن يكون هو المؤثر في تأسيسها حال صغرها وضآلة شأنها، وقد أودعها الى المخلصين الذين يأخذون بها ويذكون أوارها، بدون أن يلتفتوا، أو يلتفت الى حقيقة عمله، بقليل ولا بكثير .

**الشرط الثاني:** أن لا يؤدّي عمله الى التخلّف والقصور في تربية الأمة، أو اختلال شرائط يوم الظهور الموعود.

والمهدي(عليه السلام)، حيث يعلم الشرائط والأسباب، فهو مكلّف ـ على الأقل ـ بحماية تلك الأسباب عن التخلّف أو الانحراف، لئلا يتأخّر تأثيرها، أو ينخفض عمّا هو المطلوب إنتاجها، إن لم يكن مكلّفاً بإذكاء أوارها، والسير الحثيث في تقدّم تأثيرها.

ومن أهم شرائط اليوم الموعود، أن تكون الأمة ساعة الظهور على مستوى عال من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عزّ وجل، أو على الأقل أن يكون فيها العدد الكافي ممّن يحمل هذا الشعور، ليكون هو الجندي الصالح الذي يضرب بين يدي المهدي(عليه السلام) ضدّ الكفر والانحراف، ويكون الجيش المكوّن من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الواعي، الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي(عليه السلام) قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإذا كان ذلك من الشرائط، فلابدّ من توفّر أسبابه في زمن ما قبل الظهور، في عصر الغيبة الكبرى والمحافظة على هذه الأسباب. والسبب الرئيسي لتولّد مثل هذا الوعي والشعور بالمسؤولية والإقدام على التضحية لدى الأمة بالمستوى المطلوب، هو مرورها بعدد مهم من التجارب القاسية والظروف الصعبة، وإحساسها بمرارة الظلم والتعسّف ردحاً كبيراً من الزمن; حتى تستطيع أن تعي نفسها وأن تشخّص واقعها وتشعر بمسؤوليتها، فإن هذه الصعوبات كالمبرد الذي يجلو الذهب ويجعل السكين نافذاً، فإن الأمة ـ في مثل ذلك ـ لا تخلد الى الهدوء والسكون، بل تضطرّ الى التفكير بأمرها وبلورة أفكارها، وتشخيص آلامها وآمالها، وتشعر بنحو وجداني عميق بسهولة التضحية في سبيل الأهداف الكبيرة، ووجوبها إذا لزم الأمر ونادى منادي الجهاد في سبيل الله.

وتلك الأمة الواعية هي التي تستطيع أن تصول بين يدي الإمام المهدي(عليه السلام) ،وأن تؤسس العدل المنتظر في اليوم الموعود، دون الأمّة المنحرفة المتداعية، أو الأمّة المنعزلة أو المنصهرة المنهارة، فإذا كان مرور الأمّة بظروف الظلم والتعسّف ضرورياً لتحقيق شرط اليوم الموعود، فمثل هذا الشرط يجب رعايته والمحافظة عليه.

إذاً فالمهدي(عليه السلام) بالرغم من أنه يشعر بالأسى لمرور شعبه وقواعده بمثل هذه الظروف القاسية، إلاّ أنه لا يتصدّى لإزالتها ولا يعمل على تغييرها، تقديماً لمصلحة اليوم الموعود على أهل هذا اليوم الموجود.

وأمّا ما لا يكون من الظلم دخيلاً في تحقيق ذلك الشرط، وكان الشرط الأوّل لعمل المهدي(عليه السلام) متوفّراً فيه أيضاً، فإن الإمام(عليه السلام)يتدخل لإزالته ويعمل على رفعه، بموجب التكليف الشرعي الإسلامي المتوجّه إليه.

ونحن ـ الذين لا نعيش هموم الإمام المهدي(عليه السلام) وأهدافه ورؤاه ـ نكاد نكون في جهل مطبق، من حيث تشخيص أنّ هذا الظلم هل له دخل في تحقيق شرط الظهور أم لا. ما عدا بعض موارد التخمين. فإنّه يحتاج الى نظر بعيد يمتدّ خلال السنين الى يوم الظهور. وهذا النظر منعدم لدى أي فرد في العالم ما عدا المهدي(عليه السلام)نفسه، فيعود تشخيص ذلك إليه، بما وهبه الله من ملكات وقابليات على تشخيص الداء وتوفير الدواء[٥٠].

(٥٠) السيد محمّد الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى: ٥٧ ـ ٥٩ .

**خلاصة البحث**

خلق الله الإنسان وأودع فيه نوازع الخير والشرّ، (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**)[٥١] ودعاه للهداية ـ بحكم الإرادة المودعة فيه أيضاً ـ بعد أن هيأ سبلها عن طريق الرسل الكرام حتى تكلل لطف المولى بالرسالة الإسلامية الخاتمة، وقد أوصى نبي الرحمة وخاتم الرسل الى الأئمة(عليهم السلام) من بعده، لغرض أن يقوموا ببيان معالم الحق، في الوقت الذي يكونون هم الحجة لله على الناس، والضمان لهدايتهم حتى آخر الزمان.

ثم إن الحاجة للهداية أمرٌ لا يستنفذ غرضها بوقت دون آخر، ولذا كان لطف المولى مستمراً لا انقطاع له عن طريق حضور حججه، فلا تخلو الأرض من حجة كأمان لأهل الأرض.

والإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري الذي هو آخر الأوصياء المعصومين في أمة الإسلام، ودوره في الرسالة كدور آبائه من حيث حماية الرسالة والأمة، ففائدته إذاً تكمن في تحقيق الهداية، ولكن قد تحصل الهداية عن طريق الظهور للعيان، وتولي زمام الأمر بنفسه، ومرّة قد لا تسمح له الظروف لأدائها عن هذا الطريق، فيؤديها عن طريق الاستتار، الذي يمنح الإمام حركة من لون آخر ذات أبعاد متنوعة وبمساحة أوسع، وعليه فلا تنحصر فائدته في حال الحضور فحسب.

---

(٥١) الشمس: ٧ ـ ٨ .

**الفهرست**

كلمة المجمع ... ٥
المقدّمة ...٩
الأمر الأوّل: استمرار الهداية مع بقاء خط العصمة ...١١
الأمر الثاني: الإشكالات في فائدة الإمام حال الغيبة ...١٨
الأمر الثالث: الروايات تتحدث عن فائدة الإمام(عليه السلام) حال غيبته...٢٢
الأمر الرابع: مهام الإمام(عليه السلام) خلال احتجابه ...٣٢
الأمر الخامس: الغيبة مرحلة لتمحيص الأمة واعدادها ...٤٣
الأمر السادس: مقارنة بين فوائد الإمام حال الظهور وأثناء الغيبة ...٤٧
خلاصة البحث ...٥٦
الفهرس ... ٥٩